القضايا الاجتماعية في السينما الجزائرية

-قراءة في فيلمَيْ حراقة ومدام كوراج-

Social issues in Algerian cinema
Read in films Harraqa and Madame Courage -

بومزبر ليندة*[1]، قدواح منال[2]

[1] مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة 3، الجزائر

Lynda.boumezbeur@univ-constantine3.dz

[2] جامعة قسنطينة 3، الجزائر، Manel.kedouah@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/21	تاريخ القبول: 2023/03/23	تاريخ النشر: 2023/06/26

ملخص:

عرفت السينما الجزائرية ازدهارا في سنوات السبعينات والثمانينات وكانت وسيلة جماهيرية فعالة في تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية التي تخص المجتمع الجزائري ورغم تراجعها سنوات التسعينات بسبب الأزمة الأمنية إلا أنها حافظت على تناول القضايا الاجتماعية التي اختصت بها كل مرحلة من تاريخ الجزائر، ومن أهم تلك القضايا نجد الهجرة غير الشرعية، البطالة، الفقر، المخدرات، الجريمة وغيرها، وفي هذا السياق أعددنا هذا المقال الذي نسعى من خلاله إلى معرفة القضايا الاجتماعية التي تم تناولها في السينما الجزائرية، والكشف عن قدرة السينما على تناول المواضيع الاجتماعية ومعالجتها وفق منظور فني وجمالي وإبداعي.

كلمات مفتاحية: السينما الجزائرية، القضايا الاجتماعية، السينما.

Abstract:

Algerian cinema flourished in the seventies and eighties and was an effective mass means in shedding light on the social issues that pertain to the Algerian society. Illegal immigration, unemployment, poverty, drugs, crime and others, and in this context, we have prepared this article through which we seek to know the social issues that have been addressed in Algerian cinema, and to reveal the ability of cinema to address social issues and address them according to an artistic, aesthetic and creative perspective.

Keywords: Algerian cinema, social issues, cinema.

* المؤلف المرسل: بومزبر ليندة Lynda.boumezbeur@univ-constantine3.dz

مقدمـة:

تتنوع أساليب الاتصال والتعبير وتختلف باختلاف الزمان والمكان، مسايرة بذلك مراحل تطور الحضارة الإنسانية، ومع تطور التقنيات التكنولوجية والعلوم والفنون الذي مس هذه الوسائل نجدها استحدثت انماطا تعبيرية جعلتها أداة ناجحة في تقديم صورة المجتمعات ونهوضها، كالسينما التي تعتبر وسيلة اتصال جماهيري تجمع مختلف الثقافات وتحتويها، تتميز بقدرتها على تناول ومعالجة جميع المواضيع نظرا لامتلاكها القدرة على التعبير من خلال الصوت والصورة والحركة والألوان والمؤثرات الخاصة، كما أنها تمتلك تقنيات الإبهار كونها تعتمد على التقنيات التكنولوجية، إلى جانب كونها مرآة المجتمع التي تعكس واقع الأفراد وتعبر عن طموحاتهم وأحلامهم وتتحدث لغتهم، فالسينما من العلوم العصرية التي تدرس مشكلات المجتمعات وتكشف عيوبها من خلال إنتاج أفلام سينمائية توثق الأحداث الاجتماعية والسياسية والتاريخية وغيرها.

فالفيلم السينمائي يعد وثيقة اجتماعية مهمة تساهم في رسم قوانين حركة وديناميكية المجتمع، وفهم طبيعة العلاقة الجدلية بين الإنسان والمجتمع، إذ لم يعد الفيلم يضع وجها لوجه ظواهر عالم متجانس من الموضوعات (منصور، 2013، صفحة 6) فالسينما ليست بعيدة عن الواقع بل هي تجسيد له ويتجلى ذلك في تناولها للقضايا والاحداث والقصص الحقيقية، حيث تحاول فهم العلاقة بين الانسان ومجتمعه من خلال معالجة عناصر من واقعه، وهنا يتجلى لنا أن السينما ليست أداة للتسلية والترفيه فقط بل هي عالم لطرح الأفكار ونصرة القضايا من خلال الصورة التي تؤسس لعلاقة بصرية مع الواقع وتكشف النقاب عنه، وقد قدمت الكثير من الأفلام السينمائية المشكلات والقضايا على غرار القضايا الاجتماعية.

هذه القضايا التي تحظى بأهمية بالغة في جميع المجتمعات كونها تمس الفرد في واقعه اليومي، ولأن السينما تعبير اجتماعي يملك القدرة على تناول المواضيع ومعالجتها عن طريق نقل الواقع وتفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال دراسة أسبابها والغوص في تفاصيلها واستخلاص نتائجها، وهو ما يساعد على تأسيس خطاب يكشف الواقع ويعريه ويصور البيئة الاجتماعية.

وتختلف القضايا الاجتماعية من مجتمع الى آخر لأن لكل مجتمع هويته وثقافته وبيئته وهمومه، وقد حاز هذا النوع من القضايا على اهتمام السينما العالمية وتجسد ذلك في عدة أفلام، أما بالنسبة للسينما الجزائرية فقد تناولت منذ نشأتها القضايا الاجتماعية التي تخص المجتمع الجزائري وعالجتها وفق رؤى مختلفة من مخرج إلى آخر، ووفق نظرة إبداعية وجمالية وأخرى تنتقد الأوضاع وتحاول تصحيحها.

فلطالما سعت السينما الجزائرية الى التميز بهدف الوصول والحصول على مكانة مرموقة على المستوى العالمي رغم بدايتها الصعبة كونها ولدت ابان الثورة التحريرية الا انها استطاعت ان تخوض تجاربا اكسبتها

الطابع العالمي، ولكن نظرا لارتباطها بواقعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي فقد عرفت فترات فتور وتراجع كان اهم أسبابه الازمة الأمنية خلال سنوات التسعينات التي أوقفت عجلة نجاح السينما الجزائرية وتألقها وخلفت اضرارا على السينما من الجانب الكمي وحتى من حيث المضمون، ولكن لم يمنع تراجع السينما الجزائرية من انتاج أفلام سينمائية اجتماعية تسلط الضوء على قضايا المجتمع الجزائري وتقدم انعكاسا لتصورات المجتمع وعن الحالة الإبداعية التي يعيشها كما تعكس الحالة السياسية والاجتماعية الخاصة به، حيث استطاعت انتاج أفلام اجتماعية ترتبط بالواقع وتتناول المشاعر الإنسانية، وتروي تجارب وخبرات الأشخاص، وتسرد الصراعات الإنسانية من خلال الحوار والأحداث، فالأفلام الاجتماعية تقدم خطابا دراميا لموضوعات جذابة وتبتكر طرقا جديدة لتأويل الواقع الاجتماعي وتقديم صورة تعكس ذلك الواقع بهدف خدمة المجتمع وبناء الإنسان.

وبناء على ما سبق حول قدرة السينما على تناول المواضيع المختلفة ومعالجة القضايا التي تهم المجتمعات، ومع تعدد الأفلام السينمائية الجزائرية التي تناولت القضايا الاجتماعية التي تخص المجتمع الجزائري، جاء هذا المقال ليبحث القضايا الاجتماعية في الأفلام السينمائية الجزائرية من خلال الإجابة على التساؤل التالي:

- كيف تمت معالجة القضايا الإجتماعية في السينما الجزائرية من خلال فيلمي حراقة ومدام كوراج؟

1-الفيلم السينمائي وأهمية السينما

1-1-الفيلم السينمائي:

اشتهرت السينما بأنها الفن السابع عن تآلف ستة أنواع من الفنون المتعارف عليها (العمارة، الموسيقى، الرسم، النحت، الشعر، الرقص). تأسست فكرتها على تحريك الصورة الثابتة وقد ازدهرت فأنتجت أفلاما متحركة صامتة ثم ناطقة، وتطورت من سينما الأبيض والأسود إلى سينما الألوان (صالح، 2020، صفحة 700) ويمكن تعريف الفيلم السينمائي بأنه عبارة عن سلسلة من الصور المتوالية عن موضوع، أو مشكلة، أوظاهرة معينة، مطبوعة على شريط ملفوف على بكر تتراوح مدة عرضه عادة من 10 دقائق إلى ساعتين حسب موضوعه والظروف التي تحيط به، (عبوب، 2019، صفحة 29) ويعتبر الفيلم السينمائي أحد وسائل الاتصال التي تساعد على تفسير التفاعلات، كما تم تعريفه كذلك بأنه الشريط الذي يتم تصويره عن طريق جهاز التصوير السينمائي ويتضمن الموضوع الذي يعرض بواسطة جهاز العرض، وقد يكون بالأبيض والأسود، كما قد يكون بالألوان، ويطلق مصطلح الفيلم على المنتوج السينماتوغرافي المجسد على الشاشة في قاعة العرض (حجاب، 2003، صفحة 189)، وقد تعددت أنواع الفيلم السينمائي والتي عرفها الكاتب الامريكي ستانلي جاي سولومون

في كتابه أنواع الفيلم الأمريكي سنة 1976 بأن نوع الفيلم السينمائي هو الترتيب الواضح لقوالب الحكي، ويمكن تصنيف أنواع الفيلم السينمائي إلى ما يلي: أفلام مغامرات، أفلام وثائقية، أفلام موسيقية، أفلام قصيرة، رسوم متحركة، أفلام خيالية، كوميديا، رعب، أفلام الغرب، أفلام بوليسية، أفلام الحروب.

1-2-أهمية وتأثير السينما: (الشريف، 2008، صفحة 67)

- يتم استخدام الدعاية الداخلية والخارجية في السينما لتكوين رأي عام عالمي ومحلي على السواء، فيما يخص القضايا التي تهم الجماهير.
- تلعب السينما دورا رئيسيا في مجال التربية الإجتماعية والإرشاد والتوجيه الإجتماعي والوطني من خلال غرس مفاهيم في الناشئة منذ الصغر، بإنتاج أفلام تخاطب عقولهم ومن واقع طرح مجموعة قيم ومبادئ أخلاقية تتلائم مع مستواهم الفكري واستعداداتهم الذهنية لما لدى الأطفال والشباب من حب للأفلام الثقافية والاجتماعية والرسوم المتحركة.
- تساهم السينما بدور فاعل في دراسة الحضارات من خلال المواضيع التي تطرحها، وما تتضمنه من عادات وتقاليد لشعوب مختلفة، تمكن المشاهد من الإطلاع على أنماط الحياة المختلفة لتلك المجتمعات وتختار ما يناسبها من تلك الثقافات.

2-السينما الاجتماعية في الجزائر وقضاياها

2-1- تطور السينما الإجتماعية الجزائرية:

عرفت الجزائر السينما قبل الاستقلال من خلال تشييد الاحتلال الفرنسي لدور السينما وإنتاج الأفلام السينمائية ولكنها كانت في إطار إيديولوجي من أجل إثبات شرعية تواجد الاحتلال الفرنسي غير المشروع في الجزائر.

وقد كان ظهور السينما الجزائرية نتيجة الحاجة الملحة للثورة الجزائرية حيث تم اعتمادها كوسيلة إعلامية تستطيع نقل صورة كفاح الشعب الجزائري وتوصل صوته إلى العالم نظرا لكونها أداة تأثير وقوة، أما عقب الإستقلال فقد استمر توجه السينما الجزائرية المركز على الأفلام التاريخية والثورية التي تؤرخ لثورة التحرير المظفرة وتسليط الضوء على بطولات الشعب الجزائري وتضحياته في سبيل تحرير الوطن، وفي هذا السياق يقول محمد منير حجاب "في الجزائر وحتى الاستقلال لم تكن هناك سينما جزائرية بالمعنى المفهوم وبدأ الإنتاج عقب الاستقلال حيث تم إنتاج ثلاثة أفلام حتى منتصف السبعينات هي: سلام الصغير، فجر المعذبين، وفيلم الليل يخاف من الشمس". (حجاب، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، 2008، صفحة 296)

ومع التحولات السياسية التي عرفتها الجزائر سنوات السبعينات كالثورة الزراعية وتأميم المحروقات، عرفت السينما الجزائرية أفلاما سينمائية تكتسي طابع الأسلوبية المباشرة في معالجة قضايا المجتمع الجزائري الذي خرج

لتوه من سطوة الاحتلال الفرنسي، فبدأت موجة جديدة من الأفلام التي تعالج الواقع الاجتماعي وفق منظور سينمائي جديد يسلط الضوء على قضايا المجتمع التي تمس الحياة اليومية للفرد العادي، وقد جاء فيلم (الفحام) سنة 1972 لمخرجه محمد بوعماري ليعالج الواقع الاجتماعي اليومي للمواطن الجزائري الثوري البسيط الذي اتخذ مهنة حرق الأشجار وبيع فحمها مصدرا لرزقه وكسب قوت يومه بعد الاستقلال، حيث سلط الفيلم الضوء على رجالات الثورة المنسيين وما أصبحوا عليه بعد الاستقلال أمثال أحد أصدقاء بلقاسم بطل الفيلم الذي أصبح ذو مكانة هامة في حين ظل بلقاسم يبحث عن قوت يومه، ورغم الرسالة التي يحملها الفيلم إلا أنه عالج جانبا من الحياة اليومية للمواطن، وقد تم كل ذلك بأسلوب مبتكر وغير معهود ما جعل الفيلم يحصل على الجائزة الفضية في أيام قرطاج السينمائية، كما تمكنت بطلة الفيلم من قطف جائزة أفضل ممثلة في مهرجان موسكو السينمائي الدولي عام 1975.

وتعد سنوات السبعينات والثمانينات أخصب سنوات الإبداع السينمائي في الجزائر، حيث أنه وخلال هذه الفترة تم إنتاج 40 فيلما (ليلى، 2016، صفحة 161)، كما عرفت فترة الثمانينات التركيز على الواقع الاجتماعي والحياة اليومية للجزائريين حيث سلطت الأفلام السينمائية الضوء على المشاكل والمواضيع الاجتماعية كامتداد للموجة التي عرفتها السينما الجزائرية في منتصف السبعينات عقب انتاج فيلم (عمر قاتلاتو) ل (مرزاق علواش) الذي حقق نجاحا جماهيريا كبيرا. (منصور ج.، 2020، صفحة 231)

أما فترة التسعينات وهي فترة العشرية السوداء أين تناقص الإنتاج السينمائي والفني في الجزائر، نتيجة الأزمة الأمنية وهجرة الفنانين وغلق دور السينما، ونستشهد بفيلم (إمرأتان) 1991 للمخرج (عمار تريبش) والذي عالج قضية تعدد الزوجات والعنف ضد المرأة، وفيلم (عايلة كي الناس) 1990 للمخرج (عمار تريبش) كذلك، والذي يروي حياة عائلة جزائرية بسيطة تسعى أن تعيش برخاء وتوفير احتياجاتها عقب الحياة الرغدة التي كان يعيشها الجزائريون في السنوات الماضية وذلك في قالب كوميدي ساخر.

2-2- القضايا الإجتماعية في الجزائر والسينما

تعد السينما وليدة المجتمع الذي ينتجها، وهي مرآة لهذا المجتمع بتعقيداته وظروفه وكذلك أحلامه وتطلعاته، ويمكن القول أن السينما أقدر الفنون على تناول المواضيع الاجتماعية بفضل قدرتها على الاتصال بالجماهير والتحدث بلغتهم وتصوير حياتهم (منصور ك.، 2013، صفحة 102)، وقد استلهمت السينما من القضايا الاجتماعية، فأنتجت العديد من الأفلام التي تروي قصصا واقعية أو تعالج مشكلات تخص المجتمع محاولة بذلك نقل صورة الواقع بإبداع انطلاقا من التفاعل مع قضايا الإنسان.

والمجتمع الجزائري كغيره من مجتمعات العالم الثالث يعاني من مشكلات معينة ترجع إلى التطور التكنولوجي والتقدم الحضاري، كما أنه يواجه تحديات مختلفة اجتماعية واقتصادية وسياسية...، وتعد القضايا الاجتماعية من بين أهم القضايا البارزة التي تلقى اهتماما نظرا لارتباطها بالواقع المعيشي للمواطن، كالفقر والبطالة والهجرة وغيرها.

ومن بين القضايا الاجتماعية التي تخص المجتمع الجزائري والتي ألهمت المخرجين وصناع السينما في الجزائر لتسليط الضوء عليها ومعالجتها نجد الحرقة أو الهجرة غير الشرعية بالإضافة إلى البطالة والتهميش والعنف ضد المرأة والمخدرات وغيرها من القضايا الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري والتي أخذت في التفاقم نتيجة التغيرات التي طرأت على البيئة الاجتماعية والتحولات التي صعبت الحياة اليومية.

وقد تأثر الإنتاج السينمائي في الجزائر بهذه القضايا الاجتماعية ما انعكس على مضامين الأفلام من خلال معالجتها وفق المنظور السينمائي الفني والجمالي ونقل الواقع المعاش إلى شاشة السينما وهو ما يسمى بسينما الواقع، "فخصوصية الإبداع السينمائي تتجلى في علاقته بالمجتمع، إذ لا يمكن فهم السينما أو تفسيرها معزولة عن المجتمع والعلاقات التي تربط بين المنتجين والمستهلكين لهذا الإبداع الثقافي، ومن هذا المنظور فإن كل إنتاج ثقافي كيفما كان يرتبط بهذا الشكل أو ذاك بالمجتمع". (هونستن،، 2013، صفحة 21)

3-الأفلام الجزائرية التي تناولت القضايا الإجتماعية

3-1- فيلم حراقة:

3-1-1- بطاقة فنية للفيلم:

- **صنف الفيلم:** دراما /اجتماعي
- **تاريخ الصدور:** 2009
- **مدة العرض:** 102 دقيقة
- **بلد التصوير:** الجزائر
- **لغة الفيلم:** اللهجة الجزائرية
- **المخرج:** مرزاق علواش
- **البطولة:** نبيل عسلي، لامية بوسكين، صديق بن يعقوب

يرصد فيلم (حراقة) الذي تم انتاجه سنة 2009 لمخرجه (مرزاق علواش)، قضية الهجرة غير الشرعية عبر البحر الأبيض المتوسط، ويستمد الفيلم عنوانه من حرق أوراق الثبوتية من طرف المهاجرين غير الشرعيين حين

يصلون إلى الضفة الأخرى خوفا من يتم التعرف عليهم من طرف حرس السواحل هناك، كما يرصد الفيلم على مدى 102 دقيقة أحداثا متواصلة عن استعداد الشباب للمغادرة في حوارات مونولوجية مع ذواتهم.

وقد أكد مخرج الفيلم (مرزاق علواش) أن قصة الفيلم مبنية على أحداث واقعية استمدها من معلومات وأبحاث تم نشرها من طرف وسائل الإعلام، بالإضافة إلى روايات تم تسجيلها عن هذه الرحلات التي يذهب ضحيتها العشرات من الشباب سنويا كما أنه يسلط الضوء على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الصعبة في الجزائر.

3-1-2- قصة الفيلم:

تدور أحداث الفيلم في مدينة مستغانم غرب الجزائر حيث يروي قصة ثلاثة أصدقاء هم (ناصر) و (رشيد)، والشابة (إيمان) التي انتحر أخوها عمر، بعد أن مزق هويته وأوراقه بسبب فشله في عبور البحر ليصل إلى أوروبا، وقد انتحر شنقا في بداية الفيلم، يقرر الأصدقاء خوض مغامرة سرية على متن زورق بهدف الوصول إلى السواحل الإسبانية، بعد أن دفعوا أموالا طائلة للشاب (حسن) المتخصص في نقل الناس إلى الضفة الأخرى، وفي انتظار رحلتهم يلتحق بهم مجموعة أخرى من الشباب الذين يودون الفرار من وطنهم كذلك، يقدم الفيلم الأصدقاء الثلاثة على أنهم يجيدون التكلم باللغة الفرنسية في حين يقابلوهم الشباب الآخرون من الريف والصحراء والذين لا يتقنون سوى لغتهم الأم بالإضافة إلى أنهم لا يجيدون السباحة.

تتنظر المجموعة المتكونة من عشرة شباب من بينهم شاب ملتحي متدين في كهف قرب الساحل إلى حين وصول اليوم المنشود في رحلتهم للإبحار إلى المجهول بأجهزة ملاحة غير أصلية من تايوان والصين، في يوم الرحلة يهاجم رجل مسلح (حسن) ويقتله ويتولى قيادة القارب ليلا من دون إضاء لتجنب خفر السواحل، تتوالى المشاكل بتعطل جهاز الملاحة غير الأصلي، وخروج القارب عن مسار الرحلة ليعودوا على المسار من جديد، تستمر الرحلة عدة أيام وهنا يطلب الرجل المسلح من رشيد أن يزيد من سرعة القارب ليدور شجار بينه وبين الشاب المتدين إلى ان يسقطا في الماء غارقين، بعد أن تتوالى الأحداث يقرر (رشيد) السباحة وحدة نحو الشاطئ ليصل إليه متهالكا من التعب، في حين تقرر (إيمان) و (ناصر) اللحاق بصديقهما ليتخلف عنهما الشباب الآخرون الذين يقررون انتظار المساعدة، بعد وصول (إيمان) و (ناصر) إلى الشاطئ يتم اعتقال رشيد وصديقيه من طرف الشرطة الإسبانية لينتهي حلمهم في حياة أفضل وتتبدد كل آمالهم وأحلامهم.
وينهي المخرج (مرزا علواش) فيلم (حراقة) بتقديم بعض المعلومات حول الضحايا الذين يغرقون سنويا خلال رحلاتهم السرية نحو أوروبا، وأرقاما أخرى عن الشباب الذين تم إلقاء القبض عليهم وترحيلهم إلى بلادهم.
فاز فيلم (حراقة) بجائزة النخلة الذهبية للطبعة 20 لمهرجان فالنسيا للسينما المتوسطية في إسبانيا، كما فاز بجائزة أفضل فيلم روائي طويل في مهرجان دبي السينمائي لعام 2009 لشبكة أفلام حقوق الإنسان.

3-1-3- أهداف الفيلم:

يسعى الفيلم لرصد ظاهرة إجتماعية منتشرة في المجتمع الجزائري وهي الهجرة غير الشرعية، حيث يقدم تفاصيل رحلة مرعبة عبر البحر الأبيض المتوسط نحو المجهول، حيث تم تصويره على طريقة الأفلام الوثائقية لتوثيق معاناة الشباب الذين فضلوا المخاطرة بأرواحهم على أن يبقوا في بلادهم، فبرغم أن الفيلم لم يقدم الخلفية الاجتماعية للشباب المهاجر، إلا أنه استطاع إبراز رغبتهم الجامحة في الهروب من واقعهم الاجتماعي، والسعي إلى تغيير أسلوب حياتهم وبيئتهم، فالفيلم من ناحية أخرى يحاول توجيه سلوك الناس وتعديل أفكارهم نحو الهجرة غير الشرعية وتقديم موضوعها على أنه مخاطرة لا تستحق التضحية رغم المشاكل الاجتماعية، فقد استطاع المخرج أن يقدم جانبا من الإنسان وأماله وأحلامه ومعاناته إلى جانب مخاوفه وتطلعاته، فالفيلم يعبر عن معاناة فئة معينة تحاول الهرب من مشاكلها اليومية من خلال المخاطرة بالحياة.

يحاول الفيلم خلق وعي بجوانب الظاهرة حيث أكد سلبيتها كما يساعد على فهم الآثار السلبية لها، فمن خلال صورة القارب في عرض البحر تمكن المخرج من تقديم شكل تعبيري يرتبط بالواقع ويفكك مشاكله.

3-1-4- مدى ارتباط الفيلم بالقضايا الإجتماعية وتشريح الواقع

يرصد الفيلم هروب الشباب من واقعهم الاجتماعي الصعب من خلال اللجوء إلى المخاطرة بحياتهم، كما يرصد أسباب الهجرة غير الشرعية وهي الفقر، البطالة، التهميش والقهر الاجتماعي، كما يعتبر الفيلم تشريحا للظاهرة إجتماعية منتشرة بين الشباب الذين يلقون حتفهم في عرض البحر، آثر المخرج أن يجعل الفيلم روائيا تمثيليا دون أن يتضمن مادة درامية كافية لإثراء الموضوع، كما يعاب على المخرج أنه لم يقدم الخلفيات الاجتماعية التي جاء منها أبطال القصة، فلم يقدم الأسباب القوية التي دفعت هؤلاء الشباب إلى المجازفة بحياتهم من أجل العيش في الضفة الأخرى والتي تجعل المشاهد متعاطفا معهم، وحتى الشابة (إيمان) لم تكن لديها أسباب قوية ومقنعة التي تجعلها تقدم على الهجرة غير الشرعية سوى أن أخاها انتحر بسبب فشله في عبور البحر الأبيض المتوسط وعدم قدرته على تحقيق حلمه في العيش في أوروبا، فهي التي هددت خطيبها بالإلتحاق بالجماعات المتطرفة وتفجير نفسها إذا لم يوافق على خوضها رحلة الهجرة غير الشرعية.

3-2- فيلم مدام كوراج:

3-2-1- بطاقة فنية للفيلم:

- **صنف الفيلم:** دراما /اجتماعي
- **تاريخ الصدور:** 2015
- **مدة العرض:** 89 دقيقة

- **بلد التصوير:** الجزائر
- **لغة الفيلم:** اللهجة الجزائرية
- **المخرج:** مرزاق علواش
- **البطولة:** عدلان جميل، لامية بزاوي

3-2-2- قصة الفيلم:

يرصد فيلم مدام كوراج الذي تم إنتاجه سنة 2015 للمخرج (مرزاق علواش)، ظاهرة الإدمان على المخدرات وقد أخذ عنوانه من أحد أنواع المخدرات والتي تعرف باسم مدام كوراج نسبة لقدرتها على منح المتعاطي وَهْمًا بأنه الأقوى وتجعله يتخيل نفسه بأنه لا يقاوم ولا يبالي بالأخطار ما يمنحه شعورا بالشجاعة، كما يعالج الفيلم جدلية الحب والجريمة في المجتمع الجزائري، وتدور أحداث الفيلم في مدينة مستغانم غرب الجزائر، ويروي قصة الشاب (عمر) مدمن المخدرات والذي يعاني من القلق والاضطراب والمشاكل اليومية، إلى جانب كونه يعيش في حي قصديري فهو لم يكمل تعليمه ويعيش يتيم الأب، وهو لص امتهن مهنة النشل والاعتداء على النساء في الشارع وسرقة مجوهراتهن كونهن العنصر الأضعف في الشارع، من أجل إعالة عائلته المتكونة من أمه وأخته التي تمتهن الدعارة من أجل كسب المال نتيجة الظروف المعيشية الصعبة.

وفي يوم من الأيام يقوم بسرقة سلسلة التلميذة (سلمى) ولكن نظراتها تدفعه لتعقبها ثم يتبعها ليعطيها السلسلة في صمت ويرحل، يواصل (عمر) عادته في النشالة رغم ذلك لأن جريمته نابعة من الفقر الشديد والحاجة الماسة إلى إعالة عائلته، تتوالى أحداث الفيلم ويتعلق المراهق (عمر) ب (سلمى) ويظل عاكفا أمام بيتها على أمل أن تظهر من الشرفة، مما يعرضه إلى عقاب من طرف شقيقها الشرطي وفي نهاية الفيلم يترك (عمر) مستلقيا على سلم بيت (سلمى) وغير معروف هل هو ميت جراء الضرب من طرف أخيها أو هو نائم بفعل المخدر الذي يتعاطاه، وبذلك يترك المخرج (مرزاق علواش) نهاية الفيلم مفتوحة على عدة إحتمالات، يذكرنا (عمر) في هذا الفيلم ب (عمر) في فيلم (عمر قتلاتو الرجلة) للمخرج ذاته، إلا أن (عمر) في (قتلاتو الرجلة) كان شابا عارف بكل شيئ ويستطيع ضبط الاشقياء في الحي يحب نفسه ولا يتوقف عن مدحها في المرآة وتنقلب حياته حين يلتقي بالشابة (سلمى) أيضا لكنه يبقى عاجزا عن التقرب إليها، أما (عمر) في فيلم (مدام كوراج) فهو مراهق يفضل الغرق في غيبوبة المخدرات ما يساعده على الانسحاب من الواقع.

3-2-3- أهداف الفيلم:

يهدف الفيلم إلى نقل صورة المجتمع كما هي دون تعديل أو تزييف، ونقل الواقع الفعلي حيث استطاع تجسيد الحياة اليومية بكل سلبياتها خاصة في تصوير الأحياء الفوضوية والعمارات القديمة والطرقات غير المعبدة، إلى جانب تصوير الحالة الاجتماعية والنفسية التي يعيشها (عمر)؛ الذي يعيش الفقر والحرمان ويمارس العنف

والنشالة، ما جعله يدمن المخدرات هروبا من واقعه حيث تنسيه مشاكله وهمومه، وتكسبه شجاعة مؤقتة غير دائمة، لقد قدم المخرج (مرزاق علواش) صورة جمعت بين مشاهد المشاهد الإنحراف والعنف والمخدرات والحب، استطاع من خلالها إبراز الوجه الآخر لواقع الشباب الذي يمر بظروف إجتماعية قاهرة والتي تدفعه إلى الإنحراف، كما استخدم لغة جسد طاغية حيث استطاعت إيصال رسالة الفيلم فكانت كفيلة لفهم القصة.

3-2-4- مدى ارتباط الفيلم بالقضايا الاجتماعية وتشريح الواقع:

يقدم الفيلم نموذج إجتماعي عن مراهق فاشل استقى قصته من الواقع الاجتماعي ليجسد جزءا من المجتمع، ويستخدم المخرج هنا الشخصيات بنفس الإسم واختلاف الأزمنة كتعليق رمزي على الظروف الاجتماعية في المجتمع الجزائري من إقصاء إجتماعي وفقر وعنف وظروف قاهرة نتيجة بؤس الحياة اليومية؛ إن الفيلم لا يدين الشاب الصغير بل يصوره كضحية لسياسة التهميش واليأس والبطالة والفقر من خلال قراءة سوسيولوجية للمجتمع وللمدمنين، أما الشخصيات النسائية في الفيلم فقد جعلها المخرج شخصيات سلبية ، فسلمى لا تريد أن تفهم دوافع (عمر)، وأخته ترضخ لواقعها وعملها في مجال الدعارة، وأمه لا تكف عن الشكوى والتذمر من مصيرها بعد وفاة زوجها.

اعتمد المخرج على الحوار المختزل في المشاهد القصيرة التي تمنح المشاهدين المجال لتخيل ما بعدها، كما كان الشاب (عمر) يملك جملا حوارية قليلة والتي عوضتها نظراته اليائسة، بالإضافة إلى اعتماد المخرج على المشاهد القاتمة والتي تعبر عن قتامة الواقع الاجتماعي، أما المشاهد النهارية فتميز بتصوير الحالة المتدهورة للمباني، للمدن، الساحات العامة، والأسواق.

وقد استخدم المخرج التصوير الحر في الشوارع والمواقع الطبيعية واعتمد على الديكورات الطبيعية، واعتمد على اللقطات الطويلة التي تتابع البطل بكاميرا مهتزة ما يعبر عن الحالة العقلية المضطرب للشاب (عمر).

إن الفيلم لا يدين الشاب (عمر) بل يصوره كضحية للظروف الاجتماعية القاهرة التي جاءت نتيجة السياسات الاقتصادية والإجتماعية غير المدروسة والتي ألقت بظلالها على حياة الناس فجعلتهم مهمشين وفقراء على حافة المدينة.

خاتمة:

لقد تعدى الفيلم السينمائي كونه تمثيلا للأحداث والوقائع من خلال رصد القضايا الاجتماعية وتفكيكها ومعالجتها وفق وجهات نظر متعددة، فقدرته على تشريح القضايا وتقديم تفاصيل الحياة الاجتماعية وتصوير الواقع بكل تناقضاته جعلت منه يجسد الواقع الجزائري ويعالج قضايا المجتمع والمشاكل التي يعاني منها الأفراد في ظل التغييرات الإجتماعية الحاصلة والتي تفرض مناقشتها والتطرق إليها من أجل القيام بالدور التوعوي، بالإضافة

إلى وجوب الحرص على التنويع في القضايا الاجتماعية وتناولها من زوايا معالجة مختلفة وفق النماذج الدرامية المختلفة من تراجيديا، ميلودراما، وحتى الكوميديا، بهدف إيصال الرسالة الإيجابية وتوجيه السلوك الاجتماعي للمشاهد.

إن الفيلم السينمائي أداة تأثير وتغيير يستطيع رصد الظواهر الاجتماعية وتشكيلها في قوالب فنية وجمالية وتعبيرية، ما يمكنه من تشكيل بيئة إجتماعية تعالج قضايا المجتمع من جميع جوانبها وتحاول خلق حلول لها، كونه ينبع من الثقافة الشعبية حيث يصور الحياة البسيطة للشعوب ويدون يومياتهم ومشاكلهم، وتجدر الإشارة إلى أن الفيلم السينمائي وخاصة النوع الإجتماعي يعكس أحوال الوسط الذي انبثق منه فهو لسان حال المجتمع الذي ينتمي إليه ووليد بيئته.

والسينما الجزائرية تحاول تشريح الواقع الإجتماعي ومعالجة القضايا الإجتماعية بهدف التحسيس بمخاطر المخدرات وآثارها، ورفع الوعي لدى الشباب والتحذير من مخاطر الهجرة غير الشرعية، كما تسلط الضوء على قضايا الفقر والتشرد والبطالة وتحاول اقتراح حلول لمعالجة هذه القضايا.

4- الإحالات وقائمة المراجع:

- **المؤلفات:**
- أنجليز ديفيد، جون هونستن،. (2013). مدخل إلى الثقافة. ترجمة لما نصير، بيروت: المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات.
- محمد منير حجاب. (2003). *الموسوعة الإعلامية* (المجلد 5). القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- محمد منير حجاب. (2008). *وسائل الاتصال نشأتها وتطورها*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

- **أطروحات:**
- كريمة منصور. (2013). اتجاهات السينما في الألفية الثالثة. جامعة وهران، الجزائر

- **المقالات:**
- جمال الدين بن سعد، كريمة منصور. (2020). السينما الجزائرية وقضايا المجتمع (1976–1988). *مجلة آفاق سينمائية* (7).
- دنيا شيهب، نوال بن صالح صالح. (2020). مقتضيات تحويل النص الروائي إلى الفيلم السينمائي – دعاء الكروان أنموذجا–. *مجلة العلوم الإنسانية*.
- رحموني لبنى، بلطرش ليلى. (2016). واقع السينما الجزائرية بعد الإستقلال –قراءة في تحولات المضمون والممارسة–. *مجلة دراسات وأبحاث*.

- طيلب نسيمة، محمد أمين عبوب. (2019). الأفلام السينمائية والتعبير الرمزي عن المشاكل الاجتماعية للشاب الجزائري: دراسة تحليلية. *المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام*.
- محمد سالم عبد القادر الشريف. (2008). السينما في ظل ثورة المعلومات وتقنيات الاتصال. *مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية)*.

5- ملاحق:

ملحق رقم 01 يمثل البوستر الرسمي لفيلم حراقة

ملحق رقم 02 يمثل احصائيات في آخر فيلم حراقة

ملحق 03 يمثل بوستر فيلم مدام كوراج